مدخل عام

تحديدات اصطلاحية

المحتويات:

1-الخطاب

2-تحليل الخطاب

3-الخطاب و المنهج

مدخل عام: تحديدات اصطلاحية

1-الخطاب

الخطاب في ا لتعريف الاصطلاحي ، تجاذبته اتجاهات متعدّدة، وقع بعضها في مزالق أدّت إلى الخلط بين مفهوم الخطاب كمصطلح نقدي، وبين الكلام بمفهوم" دي سوسير F.de Saussure ". فثمة ضروب منوعة من الدّلالات لهذا المصطلح حتى في نطاق علوم اللغة، مما جعل العديد من الباحثين يقابلونه بمصطلحات أخرى كـ: الكلام، الملفوظ، النص، اللغة، القصد.. .

لذا يقول "جيرالد برنس Gerald J.Prince" في كتابه " المصطلح السردي " إن للخطاب معنيين منفصلين في إطار نظرية السرد: الأول هو المستوى التعبيري للرواية لا مستوى المضمون، أي عملية السّرد لا موضوعه، والثاني يتضمن التمييز بين الخطاب والقصة Story (و بنفنيست Benvenisite يستخدم الخطاب و histoire في كتابه بالفرنسية)، لأن الخطاب ، كما يرى "ستابز *M. Stubbs* " في كتابه " تحليل الخطاب"، يوحي بعلاقة بين حالة أو حادثة وبين الموقف Situation الذي يوحي فيه لغوياً بهذه الحالة State أو الحادثة Event [1].أي إن التّعريف هنا يستند إلى التّفرقة بين الخبر والإخبار به، أو بين الواقعة والإبلاغ عنها، ممّا يماثل الفرق بين enonciation و enonce . وأما "فوكو M.Foucault " فيقول إن الخطاب يمثّل «مجموعة كبيرة من الأقوال أو العبارات ويعني بها مساحات لغوية تحكمها قواعد».[2]

وفي سياق استعمال اللّسانيين لمصطلح "خطاب" ، أجمل "شفرن Chevron " مفهومه في ثلاثة أصناف:[3]

- **الأنموذج الصوري:**

الذي يركّز على اعتبار الخطاب وحدة متلاحمة تتألّف من أكثر من جملة، و يعد "هاريسZ.Harris" أوّل من اهتم بالخطاب في إطار الأنموذج الصوري، وأول من استخدم مفهوم الخطاب في مقال علمي، حيث عدّه توليفا من الجمل، فهو في تصوره [4]: « متوالية خطية تضم أكثر من جملة أولية».

إنّ "هاريس " قد وسّع مجال البحث اللغوي بتجاوزه لمستوى الجملة وبإدراجه لمستوى الخطاب، حيث تمثل الإشكال الذي ركّز عليه في تحديد الخصائص المميزة لماهية الخطاب، التي تقود إلى تشخيص المتواليات التي تشكّل خطابا وعزلها عن المتواليات التي ليست إلا متواليات اعتباطية.[5]

- **الأنموذج الوظيفي:**

ركّز هذا النموذج على الوظيفة التي يؤديها الخطاب من خلال ربطه بسياق استعماله، وبذلك يتجاوز الأساس البنيوي (الصوري)، ليهتم بكيفية توظيف نماذج التكلم لتحقيق أغراض محدّدة في سياقات محددة. وهذا التصور هو الذي دافع عنه "أحمد المتوكل" وعرف الخطاب بكونه: « كل ملفوظ/مكتوب يشكل وحدة تواصلية تامة».[6]

- **الأنموذج التلفظي:**

إنّ هذا التصوّر يجمع بين الإلحاح الوظيفي على الاستعمال اللغوي والإلحاح الصوري على النماذج الموسّعة، فدراسة التلفظ تتضمن الأخذ بعين الاعتبار جملة من العوامل المرتبطة بالمقام التواصلي، كالمشاركين وزمن ومكان التلفظ، وعموما كل عنصر يمكن عدّه ملائما في إجراء التلفظ.

في هذا المنحى ركّزت المدرسة الفرنسية لتحليل الخطاب على التلفظ كمعطى يحدد الخطاب، معتبرة أن الخطاب هو نتاج لغوي يشكل مع شروط إنتاجه السوسيو-إديولوجية كلًّا قابلا للوصف. إنّه بتعبير "شارودو P. Charaudeau "[7]: « مُنتج خاص يرتبط بمتكلم خاص وبظروف إنتاج خاصة » .بهذا يتحدد الخطاب بكونه نتاجا لإدراج النص في سياقه، ذلك لأن مجال الخطاب-كما يشير "بنفنيست Benveniste" هو مجال تلتقي فيه الدلالة بالإحالة، ومن ثم يتم ربط الخطاب بالتلفظ وربط التلفظ بالسياق التواصلي. [8]

وفي المقابل تباينت تعريفات "النص" نظرا لتغير مسيرته وتطور رؤاه وتطلعاته، ولابأس أن نجمل الجلي من التعريفات في مختصرات توجز ما مر بنا وهي كالاتي:

النص مكتوب ومنطوق.

النص وحدة دلالية تحكمها قوانين التركيب الذي يخضع للاتساق والإنسجام.

النص ليس عملا نحويا بقدر ما هو عمل دلالي وظيفته اتصالية تواصلية.

وعرف "دوبوجراند" و "درسلر" النص أنه حدث تبليغي تتحقق نصيته إذا اجتمعت له سبعة معايير هي:

1. معيار السبك cohesion أو الرابط النحوي .
2. معيار الحبك Coherence أو التماسك الدلالي وترجمه تمام حسان بالالتحام.
3. معيار القصد Intentionality أي هدف النص.

4. معيار القبول أو المقبولية Acceptahibity، وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.

5. معيار الإخبارية أ و الإعلام informativity أي توقع المعلومات الواردة من عدمها.

6. معيار المقامية situationality، وتتعلق بمناسبة النص للموقف.

7. معيار التناص intextextuality، وهي تقاطع النصوص.

1-أ/ بين الخطاب والنص :

بالعودة إلى استعمال كلمة "خطاب" في اللسانيات سيما لسانيات النص ومقاربات تحليل الخطابات والنصوص الأدبية ، يتضح الخلط بينه وبين كلمة "نص" ، وعليه انقسم الباحثون إلى فئتين، اتخذت كل منهما موقفا خاصا على النحو الآتي:

النص ُهايز للخطاب:

ميزت المدرسة الفرنسية في تحليل الخطاب بين مصطلحي "الخطاب" و"النص" من خلال الاهتمام بالخطابات المختلفة في إطار النظرة التواصلية على العموم، و من ضمنها السيمياء. ويتجسد ذلك في أعمال "غريماس " الذي يمّيز بين النص والخطاب انطلاقا من صيغة التعبير، التي تحدّد ماهيتَه باعتباره لفظا، أي نتاجا. أي تحدد ماهية الخطاب باعتباره إجراء وتلفظا يخول للنص أن يتحول إلى خطاب. ومن ثمة يصبح النص مادة خاما، إّنه مضمون أو ملفوظ قابل لأن يتجسّد في خطاب.

كما يجمل "محمد العبد" أهمَّ الفروق الأولية بين النص والخطاب التي انعقد الإجماع عليها نظرياً – كما يقول –: « في أن النص بنية مترابطة تكّون وحدة دلالية ، في حين أن الخطاب ينبغي النظر إليه على أنه موقف ينبغي للغة أن تحاول العمل على مطابقته ؛ وعلى ذلك فإن الخطاب أوسع من النص ، فالخطاب ليس بنية بالضرورة ، ثم إن غلبة النص على المكتوب ، والخطاب على الملفوظ ليس حاسماً ؛ فأحدهما يلتبس بالآخر على سبيل التوسع» . [9]

ترادف النص والخطاب:

يرتبط الخطاب بعلاقته بالواقع أو الوضع السوسيولوجي التواصلي، وكذا التعالقات الداخلية التي تحدد المعاني المتضمنة في بنية النص، ومنه « يؤكد "راستيي " على وجوب وصل وجود النص بوجود الملفوظ، إذ لا يمكن تصور أن يكون النص سابقا من حيث الوجود على الملفوظ ويؤكّد على أن السياق هو النص كلّه لكونه محددا له، فهو مكّون من مكوناته سواء تعلق الأمر بالمضمون أو التعبير».[10]

وهذه النظرة تجعل النص يقترب بل يتماهى مع مفهوم الخطاب في التصورات التي تُدرج بُعَد السياق التواصلي، بحيث يصبح المفهومان تداوليين، ويصعب التفريق بينهما، بحيث يصبح الخطاب أحيانا أعّم

من النص، كما عبر عن ذلك "محمد مفتاح"، أو العكس على رأي "سعيد يقطين"، وعليه فليس المفهوم هو الفارق بل المجال الذي يستخدمان فيه أو نوع الملفوظ، مما أدى ببعض الباحثين إلى تقديم مصطلحات أخرى نحو: نمط الخطاب، ونوع الخطاب، وهذا ممّا جعلهم يحددون مجال النص في مجال الأدب والخطاب في مجال اللسانيات.

والخلاصة أن مفهومي النص والخطاب أثارا جدلا في الدراسات اللغوية انطلاقا من تجاوز الاهتمام بالجملة إلى الاهتمام بالخطاب، في إطار التيارات التداولية التي اهتمت بالإجراء التواصلي وبتجسيده، لذلك يمكن النظر إلى الخطاب باعتباره كلا متكاملا يشمل الملفوظات المنطوقة/المكتوبة في مختلف سياقاتها التواصلية، بحيث يُعدّ كل ما يؤدي إلى تواصل بشري خطاًبا مهما كان نوعه.

1-ب/ أنواع الخطاب :

يقوم الخطاب على الإيصال بين طرفين : أحدهما الباث وثانيهما متلقي الخطاب، وبين الأول والثاني هناك رسالة هدفها الاستقرار في ذهن المتلقي، وبطبيعة الحال يختلف مضمون الرسالة من خطاب إلى آخر.

يقع التمييز بين سائر الخطابات، فهناك الخطاب الأدبي الذي يتميز عن باقي الخطابات في نقاط كثيرة، باعتباره نصا مغلقا؛ ذلك أن منتج الخطاب، مبدعُه، من معدن آخر أفسحَ لذاته تعاملا مع الكتابة واللغة، لا يشبه في عمقه التعاملات السائدة والمتعارف عليها. وداخل الخطاب الأدبي يظهر التعارض بين الشعر والنثر، وهو تعارض مليء بالإثارات مثل كون الشعر بحث عن التشاكل بين التعبير والمضمون. وثمة تعارض آخر داخل الخطاب الأدبي النثري مثل التعارض بين الرواية والقصة : التعارض بين الخطاب الأدبي الطويل والخطاب الأدبي القصير... وخلافا للخطاب الأدبي تتموقع باقي الخطابات الأخرى، نحو: السياسي، العلمي ، التاريخي ، الفلسفي ، القانوني.

بالإضافة إلى ذلك يمكن تنميط أنواع الخطاب عموما على الشكل التالي :

* خطاب شفهي أو مكتوب (حسب القناة المستعملة). على أن هناك فروقات بين اللغتين المكتوبة والشفهية، من ناحية البنية ومن الناحية المقامية.
* خطاب مباشر أو غير مباشر.
*خطاب بضمير المتكلم أو خطاب بضمير الغائب حسب المسافة بين المحفل التلفّظي وملفوظه.
* خطاب تعليمي أو تسجيلي : تبعا للعلاقة بين المتلفظ والمتلقي.
* خطاب صريح أو ضمني وفقا لطبيعة العلاقة بين الخطاب والواقع الدال عليه.

و مؤخّرا يجري الحديث عن أنواع مغمورة من الخطابات كالخطاب البصري، الخطاب الإعلامي، لغة الجسد.....

2-تحليل الخطاب :

التحليل يعني التفكيك؛ تفكيك الشيء إلى مكونات جزئية، تتيح لنا معرفة بنياته الداخلية (الصغرى و الكبرى)، والخارجية، وبنية التفاعل بينهما.[11]

لتحليل الخطاب تحديدات متعددة [12]، إلا أن المعنى العام لتحليل الخطاب تحليل استعمال اللغة. ونظرا لكون الدارسين المعاصرين اهتموا بتحليل شتى أشكال الخطابات، أصبح لزاما عليهم الاستعانة بالعلوم الإنسانية لتمدّهم بالآليات الإجرائية للدراسة، ومنه نشأت مقاربات التحليل: النفسية، الاجتماعية، الأنثروبولوجية، التواصلية، الفلسفية، البلاغية.

« إن تحليل الخطاب هو غاية في عدم الاستقرار لوجوده في ملتقى العلوم الإنسانية، توجد تحليلات تغلب عليها الصبغة الاجتماعية، وأخرى تغلب عليها الصبغة اللسانية، وثالثة تغلب عليها الصبغة النفسانية، ويضاف إلى هذا التفريع ما بين التيارات من اختلافات ».[13]

إذن، فلكل نوع من الخطابات إجراءات تحليلية خاصة، تُسهم في الكشف عن دلالاته، تعتمد على تلك المقاربات، وعلى كفاءة المحلِل في الاتكال عليها والخروج بنتائج يمكن أن يقال عنها مُرضية.

والتحليل مصطلح جامع يستدعي في ممارسته مصطلحات عديدة، بإجرائه عملية إسقاطية على ما يسمى الخطاب؛ إذ "يقوم على الشرح والتفسير والتأويل والعمل على جعل النص واضحًا جلّياً . ومن هذا المنطلق يركز الناقد على اللغة والأسلوب والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء والكل، لكي يصبح معنى النص ورمزيته واضحَين، لذا فإنّ قراءة النص على عَجَلٍ لا تعد تحليلا".[14]

-القراءة

القارئ لم يعد مجرد مستهلك للنص، إنه المنتج كذلك (...) وعلى هذا النحو ينبثق تركيب النص ومعناه من وصف القارئ وفعاليته، لا سيما في النصوص التي تتميز بالعمق و التعقيد في الشكل والمعنى (...) فبذلك انفتحت الخطابات على الاختلاف والمغايرة، وإذا كان النص يحتمل أكثر من قراءة، فلكل قراءة منطق نفوذها داخل النص، ولكل قارئ استراتيجيته الخاصة وراء قراءته، والخطاب ليس مساحة مسطحة تشف عن معناها، أو عمقا يختبئ فيه المعنى، وإنما هو حيز تتعدد سطوحه، وعمق لا قرار له.

والقراءة هي أول الفهم، والفهم "إنتاج المعنى" هذا الذي نجده تموضع بين معنى الكاتب، والمعنى المسبق للقارئ.

-الشرح

توضيح المعنى البعيد بمعان قريبة معروفة. وقد اختص بالتعليق على مصنفات من وجهة علوم مختلفة، كالشروح التي كتبت على الرسائل المشهورة او الأشعار العربية. والشرح لفظ عام ذو شقين: التفسير والتأويل.

-**التفسير**

التفسير هو شرح لكن من نوع آخر، فهو شرح لغوي أو مذهبي لنص من النصوص.[15] لقد ارتبط على نحو خاص بشرح القرآن الكريم، باعتباره عملا فكريا يقوم على فك شفرة المعنى المحتجب بالظاهر.

-**التأويل**

يرى البعض أن التفسير يستهدف المعنى في وضوحه وجلائه، والتأويل اجتهاد غايته إمداد القارئ بأكثر من معنى، وفي حدود معطيات النص.[16]

وبناءً على ما تقدّم، فإنّ التحليل: هو دراسة نقف بها على كشف خباياها الرسالة المنطوقة أو المكتوبة أو المرئية، كما نقف على جزئياتها وعناصرها الأولية، ووظيفة كل منها بالشرح والتفسير والتأويل، دون مبالغة في ذلك أو إخلال فيه. [17]

3-الخطاب و المنهج :

المنهج : يعني" الطريقة أو مجموعة الإجراءات التي تتّخذ للوصول إلى شيء محدد كأن نتخذ خطوات تحلل بها الكلمة صرفيا، ذلك أن المنهج والمنهاج يرد في العربية على معنى الطريق الواضح والمنهاج: الخطة المرسومة (محدثة) ومنه منهاج الدراسة أو منهاج التعليم ونحوهما ...المنهج المنهاج، الجمع مناهج.[18]

-اصطلاحا: أما اصطلاحا فهو بوجه عام: "وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة...المنهج العلمي خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها.[19]

ويقول دافيد كريستل في تعريفه للمنهج: " هناك اختلافات متعددة وحاسمة بين المنهج الحديث والدراسة القديمة لّلغة، وحجر الزاوية في هذا الخلاف تلخصه كلمة واحدة هي scientific العلمية، والجانب الهام في scientifiness عملية علم الّلغة هو: استعمال الأساليب العملية التي يعتمد عليها الموضوع أي المنهج العلمي scientific method والذي يتمثل في ملاحظة الظواهر، ثم إقامة الفرض النظري الذي يفحص بعد ذلك منهجيا عن طريق التجريب وتحقيق الفروض، كما يهتم بوضع أصول نظرية علمية ومصطلح علمي ثابت وواضح " ، وهذا ما تقوم عليه الدراسات اللغوية الحديثة [20].

وقد اعتمد الباحثون في دراستهم للغة في تلك الفترات مناهج عدة ومنها:المنهج المقارن، المنهج التاريخي، المنهج الوصفي، المنهج التقابلي.

---

[1] ينظر: جيرالد برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات) ، ترجمة عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، 2003.

[2] ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يقوت، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط 1، 1986، ص 81.

[3] ربيعة العربي، الحد بين النص والخطاب، مجلة علامات، **مجلة** ثقافية محكمة، تعنى بالسميائيات والدراسات الأدبية الحديثة والترجمة. المغرب، العدد 33، 2010، ص 35.

[4] Harris.Z. discourse analysis reprints,The Hague.Mouton ,1963, ,p7

[5] ربيعة العربي، الحد بين النص والخطاب، مجلة علامات، ص 35.

[6] أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة على النص، الرباط، 2001، ص 21.

[7] Charaudeau.P,Henkel, Sandra Fotos. Lawrence. Erlbaum. 1988 :«La critique cinématographique

faire voir et faire parler , la presse : produit ; production ; réception .call » Langage discours etsociétés. Paris .Didier érudition pp 47 - 70

[8] Benveniste, Problèmes de linguistique générale.Gallimard,1966, p:130

[9] محمد العبد ، النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2014، ص 10-11.

[10] ربيعة العربي، الحد بين النص والخطاب، مجلة علامات، المغرب، العدد 33، 2010، ص 42.

[11] نعيمة سعدية، تحليل الخطاب والدرس العربي-قراءة لبعض الجهود العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد4، جانفي 2009.

[12] باتريك شارودو ودومنيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، بإشراف المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس،2008، ص 43-47.

[13] المرجع نفسه، ص 45.

[14] عبد القادر سلامي، تحليل الخطاب.. مقدمة للقارئ العربي ، الشبكة العالمية للمعلومات، مدونة ديوان العرب: https://www.diwanalarab.com/.

[15] المرجع نفسه.

[16] نعيمة سعدية، تحليل الخطاب والدرس العربي-قراءة لبعض الجهود العربية.

[17] عبد القادر سلامي، تحليل الخطاب.. مقدمة للقارئ العربي.

[18] نسيمة نابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية، جامعة تيزي وزو،2011، ص 9.

[19] المرجع نفسه، ص نفسها.

[20] نفسه، ص 10.